﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١﴾ [الأعراف: 101]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمّا تكرّرَ ذكرُ القرى الّتي كذّب أهلُها رسلَ الله بالتّعيين وبالتّعميم صارَت للسّامعين كالحاضرة المشاهدَةِ الصّالحةِ لأن يُشارَ إليها، فجاء اسمُ الإشارة لزيادة إحضارِها في أذهان السّامعين من قوم محمّد ﷺ؛ ليعتبروا حالَهم بحال أهل القرى، فيروا أنّهم سواءٌ، فيفيئوا إلى الحقِّ[1]، ولمّا انقضى ذلك على هذا الوجه العظيم والنّظم الأبلغ الأحكم، وكانَت هذه القرى بحيث تعرفُها العربُ ويرونها، أشارَ إليهم حثًّا على الاعتبار بهم[2].

القرى هذه معروفةٌ عند العربِ، فأشار اللهُ إليهم حثًّا على الاعتبار بحالهم

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَقُصُّ﴾: (قصَّ) القافُ والصّادُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تتبعِ الشّيءِ، من ذلك قولهم: اقتصصتُ الأثرَ؛ إذا تتبّعته. ومن ذلك اشتقاقُ القصاص في الجراح، وذلك أنّه يُفعلُ به مثلَ فِعلِه بالأوّل، فكأنّه اقتصّ أثرَه. ومنَ الباب القصّةُ والقصصُ، كلُّ ذلك يُتَتَبَّعُ فيُذكر[3]. فالقِصَّةُ معروفةٌ. يُقالُ: في رأسه قِصَّةٌ؛ أي: جملة منَ الكلام ونحوه[4]. وقولُه تعالى: ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف: 3]؛ أي: أحسنَ البَيان[5]، وهي: الأمرُ والحديثُ. وقدِ اقتَصَصتُ الحديثَ:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/29.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/76.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قصَّ).
(4) الفراهيديّ، العين: (قصَّ).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (قصَّ).

رويتُه على وجهه[1]. فالقصص: الخَبَر المقصوص[2]، والأخبارُ المتتبّعة[3]. واقتصصتُ الحديثَ: رويتُه على وجهه، فهي أحداثٌ، أو أمورٌ لها أصلٌ، وتتوالى على نحوٍ مترابطٍ إلى نهايةٍ ما، أو هي من قَصِّ الخَبَرِ؛ أي: حكايتُه متتابعةٌ بحسب ما سُمع، أو وقع، كقصص الرّسلِ مع أقوامهم، والقُرَى مع أهلها ومصائرهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَتِى﴾ [الأنعام: 130]؛ أي: آياتُ اللّه في الكون: خلقُ السّموات والأرض، وتسخيرُ ما في الأرض والأفق للإنسان، وإرسالُ الرّسلِ بالبيّنات لتعريف الإنسان بربِّه، وعبادتِه إيّاه، وآدابِ عبادِ اللّه في حياتهم، وبالبعثِ والحسابِ والجزاءِ، وكلُّ تلك أمورٌ ينبغي التزامُها[4]، وهذا معنى اللّفظة في الآية الكريمة.

2) ﴿أَنۢبَآئِهَا﴾: (نبأ) النّون والباء والهمزة قياسُه الإتيانُ من مكانٍ إلى مكانٍ. ومنه قيل للنّبأ: الخبر؛ لأنّه يأتي من مكانٍ إلى مكانٍ[5]. فالنّبأ: خبرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ، يحصلُ به علمٌ أو غلبةُ ظنٍّ، ولا يُقالُ للخبر في الأصل: نبأٌ؛ حتّى يتضمّن هذه الأشياء الثّلاثة، وحقُّ الخبر الّذي يُقال فيه: نبأٌ؛ أن يتعرَّى عنِ الكذب، كالتّواتر، وخبرِ اللّه تعالى، وخبرِ النّبيّ ﷺ، ولتضمّنِ النَّبَأِ معنى الخبر، يُقال: أنبأتُه بكذا، كقولك: أخبرتُه بكذا، ولتضمّنه معنى العلم قيل: أنبأتُه كذا، كقولك: أعلمتُه كذا[6]. فالنّبأُ يُستعمَلُ في ما الأصل فيه مجهولٌ لأحد الطّرفين[7].

وكلُّ نبأٍ في القُرآن فهو الخَبَرُ إلّا قوله: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ [القصص: 66] فإنّ المُرادَ الحجَجُ.

والنّبأ والأنباءُ لم يَرِدا في القُرآن إلّا لما لَهُ وقعٌ، وشأنٌ عَظيمٌ[8]، وبذا تفسّرُ اللّفظةُ في الآية الكريمة.

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (قصص).
(2) ابن سيده، المحكم: (قصص).
(3) الرّاغب، المفردات: (قصص).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (قصص).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نبأ).
(6) الرّاغب، المفردات: (نبأ).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نبأ).
(8) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 886.

3) ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: (بَيَنَ) الباءُ والياءُ والنّونُ أصلٌ واحدٌ، وهو بعدُ الشّيء، وانكشافُه، فالبينُ الفراقُ، وبان الشّيءُ وأبان؛ إذا اتّضحَ، وانكشفَ[1]. والبَيِّنُ منَ الرّجال: الفَصيحُ[2]. والبَيان: الفَصاحة. واستبنتُ الشَّيءَ: تأمّلتُه حتَّى تبَيَّن، وتبيّنتُ الأمر: تأمّلتُه، وتوسَّمتُه، وتثبّتُ منه[3]. وبانَ الصّبحُ: ظهرَ، وسُمّي الكلامُ بيانًا؛ لكشفه عنِ المعنى المقصود إظهاره. وسُمّي ما يُشرَحُ به المجملُ، والمبهمُ منَ الكلام بيانًا[4]. والبينُ: الفَصلُ بَين الأرضين. والبين: قَدرُ مدِّ البَصرِ مِنَ الطَّريق[5]. ومنَ الفصل والتّمييز جاء معنى الوضوح والظّهور؛ لأنّ المفصولَ المتميّزَ من غيره يلفتُ النّظرَ، وهو المعنى الّذي جاءَت به كلُّ مفرداتِ التّركيبِ القرآنيّةِ عدا الظّرف (بين)[6]. والبيّنةُ: الدّلالةُ الواضحةُ عقليّةً كانَت أو محسوسةً[7]. والبيّنات: هي الّتي أنزلها اللّهُ، وأظهرها على يدي أنبيائه، منَ الحُجَج والدّلائل، والمعجزات الظّاهرات الواضحات في نفسها، أو في كونها من عند اللّه، والّتي تقتضي التّسليمَ بلا جدال[8].

## ❁ المعنى الإجماليُّ:

الخطابُ للنّبيّ محمّد ﷺ: أنّا قصصْنا عليك وعلى أمَّتِكَ منَ الأخبار العظيمة الهائلة للقرى الغابرة عِبرةً، تَعِظُ المتَّعظينَ، وتردَعُ الكافرينَ، فقد كانَت تأتيهم الرّسلُ بالدّلائل، والبراهين، والمعجزاتِ الواضحاتِ، فكان حالُهم بعد مجيئِها كحالهم من قبلُ، حين كانوا

القَصصُ القرآنيُّ يحصلُ به عِبرةٌ للمعتبرين وازدجارٌ للظّالمين، والمآلاتُ جزاءٌ من جنس العمل

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بين).
(2) الفراهيديّ، العين: (بين).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (بين).
(4) الرّاغب، المفردات: (بين).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (بين).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بون - بين).
(7) الرّاغب، المفردات: (بين).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بون - بين).

يتسامعون بكملة التّوحيدِ ممّن قبلَهم فيكذبونها[1]، أو فما كانوا ليؤمنوا بما سبقَ في علم اللّه يومَ أخذَ الميثاقَ أنّهم يكذّبون به، ولم يؤمنوا به؛ لاستحالة التّغيّر فيما سبق به العلمُ الأزليُّ[2]، أو فما كانوا ليؤمنوا بما جاءَتهم به الرّسلُ في حالٍ منَ الأحوال، ولا وقتٍ منَ الأوقات بما كذَّبوا به من قبل مجيئِهم، بل هم مُستمرّون على الكفر، مُتشبّثون بأذيال الطّغيانِ دائمًا[3]، مدّةَ عمرِهم بما كذّبوا به أوّلَ ورودِه عليهم حين جاءَتهم الرّسلُ لتمرّسهم بتكذيب الصّادقين، ولم تؤثّرْ فيهم دعوتُهم المتطاولةُ والآياتُ المتتابعةُ[4]، أو فما كان ليهديهم للإيمان عقوبةً لهم على ردّهم الحقَّ أوّلَ مرّةٍ، وذلك مصداقُ الطّبع على القلب، والختم عليه؛ إذ تتحجّرُ القلوبُ، وتستوي حالتا التّبليغ والإنذار بالبيّنات أو عدمها[5].

وما أفادَتهم البيّناتُ أن يؤمنوا بشيءٍ قد بدرَ منهم تكذيبُه في ابتداء الدّعوة[6]، ليجعلَ اللّهُ حجابًا على قلوبهم وعقولهم، فيخفى عليهم طريقُ الحقِّ وينأون عنه، أو أنّهم أُخِذَ عليهم الميثاقُ، فآمنوا كرهًا، فما كانوا ليؤمنوا بعد ذلك طوعًا، فلو ردّوا إلى الدّنيا مرّةً لكفروا أيضًا، فما كانوا ليؤمنوا في الرّدِّ بما كذّبوا به أوّلًا؛ لأنّ شُؤمَ المبادرةِ إلى تكذيب الرّسلِ سببٌ للطّبع على القلوب والإبعادِ عنِ الهدى[7].

فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤيةِ تلك المعجزات بما كذّبوا قبل رؤيتِها، يعني: أوّلَ ما جاؤوهم فاجؤوهم بالتّكذيب، فأتوا بالمعجزات، فأصرّوا على التّكذيب[8].

ومغزى الآيةِ الكريمةِ وإرشادُها تسليةُ النّبيِّ محمّد ﷺ بأنَّ ما لقيه من قومه هو سنّةُ الرّسل السّابقين، وأنّ ذلك ليس لتقصيرٍ منه، ولا لضعفِ آياته، ولكنّه للختم على قلوبِ كثيرٍ من قومه[9] وتقريرٌ للوحي، وإثباتٌ لنبوّته ﷺ؛ لأنّ تلكم القصص لا تُتلَقّى إلّا بوحي

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: 1/183.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 9/11.
(3) القنّوجيّ، فتح البيان: 4/419.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/26.
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط، ص: 138.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/31.
(7) المغراويّ، التّدبّر والبيان: 11/416.
(8) الشّهاب، عناية القاضي: 4/337.
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/32.

إلهيٍّ[1]، وعقوبةُ مَن ردَّ الحقَّ، أو أعرضَ عنه فلم يقبله، وأصرَّ على ذلك فإنّه يُصرفُ عنه، ويُحالُ بينه وبينه، ويقلّبُ قلبُه عنه[2].

ومن هنا فلا ينبغي ردُّ المسموع بطرًا وكبرًا ومعاندةً لعلّه يكون حقًّا، فيضعُ عنك نفعه، وتفقدُ أثرَه، وينزعُ عنك خيره، فوجودُ البيّناتِ مهما كانَت قويّةً وواضحةً غيرُ كافٍ في إيمان مَن لم يَشأِ اللّهُ هدايتَه[3].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

### بلاغةُ الفصلِ في الآية:

الآيــةُ خـلاصـةُ القَصص المحكيّة قبلها تفصيلًا وإجمالًا

جملة ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ مستأنفةٌ استئنافَ الفَذْلكة؛ أي: خلاصةُ ما فُصِّلَ قبلها، ومجمله منَ القصص من قوله: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ [الأعراف: 59]، ثمّ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ﴾ [الأعراف: 94][4]، فقُفّي به على جملة قصصِ الرّسلِ ﷺ الّتي تقدَّمَت، وما عُطِفَ عليها من بيان حكمِها وفقهِها، فكانَت خلاصةً لها[5].

### التَّعبيرُ بـ ﴿تِلۡكَ﴾ دون غيرها:

صيغةُ البُعد؛ للتّبعيد عن ساحة عزّ القرب

ولمّا كان أهلُ تلك القُرى جديرين بالبعد عنهم والهرب منهم؛ عبّرَ عنهم بأداة البعدِ، فقال: ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾؛ أي: محالُّ القبائلِ الخمسِ، وهي قرى قومِ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وشعيبٍ، ويجوز أن يكون البعدُ لعظمة ما حصلَ لأهلها منَ العذاب، ويؤيّدُه قولُه مبيِّنًا حالها: ﴿نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾[6]، أو إشارةً إلى بُعد هلاكها وتقادمه[7]؛ فصيغةُ البُعد للتّبعيد عن ساحة عزّ القرب[8].

(1) الجزائريّ، أيسر التّفاسير، ص: 213.
(2) ابن القيّم، بدائع التّفسير: 1/413.
(3) الجزائريّ، أيسر التّفاسير، ص: 213.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/29.
(5) رضا، تفسير المنار: 9/29.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/76.
(7) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/353.
(8) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 8/457.

### بلاغةُ الإخبارِ بالاسم والفعل:

القصدُ الإخبارُ بالقصص، أو تعظيمُ القرية ومهلكها، والتّحسّرُ عليها عِظَةً وعِبرةً

يجوز في ﴿تِلۡكَ﴾ أن تكون ابتداءً، و﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾ نعتًا، والخبر ﴿نَقُصُّ﴾ يؤيّدُه أنّ القصدَ إنّما هو الإخبارُ بالقَصص[1]، أو أنّ ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾ هي خبرُ الابتداء ﴿تِلۡكَ﴾، وفي ذلك معنى التّعظيم لها ولمهلكها، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [البقرة: 2] فإنَّهُ ابتداءٌ وخبرٌ، وكأنّ في اللّفظ معنى التّحسّر على القرى المذكورة، والمعنى: نقصُّ عليك من أنباء الماضين لِتَتَبَيَّنَ العِبَرَ، وتَعْلَمَ المَثُلاتِ الّتي أوقعَها اللّهُ بالماضين، ثمّ ابتدأ الخبرَ عن جميعهم بقوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾[2]، وفيه استحضارُ القرى في الذّهن بحيث صارَت كالمُشاهَدِ للسّامعِ، فكانَتِ الإشارةُ إليها إشارةَ عِبرةٍ بحالها، وذلك مفيدٌ للمقصودِ منَ الإخبار عنها باسمها لمَن لا يجهلُ الخبرَ كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ﴾ [التّوبة: 35]؛ أي: هذا الّذي تشاهدونه، وتُكوَونَ به هو كنزكُم، وهم قد علموا أنّه كنزُهم، وإنّما أُريدَ منَ الإخبار بأنّه كنزُهم إظهارُ خطأِ فعلِهم، ويجوزُ أن يكونَ القُرى بيانًا لاسمِ الإشارةِ[3].

### دلالةُ الحاليّة في جملة القصّ:

القَصصُ مواطنُ إثباتٍ، واستدلالٍ

وتحتملُ جملةُ: ﴿نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ﴾ الحاليّة منَ القرى، وفائدتُه الامتنانُ بذكر قَصَصها، فهو كالتّقييد بالصّفة في قولك: هو الرّجلُ الكريمُ، وللاستدلال على نبوّة محمّد ﷺ؛ إذ علَّمه اللّهُ من علم الأوّليّن ما لم يسبق له علمُه[4].

### علّةُ التّعبيرِ عنِ القصّ بالمضارع:

وعبّر بالمضارع ﴿نَقُصُّ﴾ عنِ الماضي؛ أي: (تلك القرى قصصنا)،

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/433.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/434.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/29 - 30.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/30.

والأنباءُ هنا إخبارُهم مع أنبيائهم ومآل عصيانهم[1]؛ لأنّ هذه الآيةَ نزلَت مع تلك القَصص لا بعدها[2]، وفيه وعدٌ بالزّيادة من ذلك، لما دلَّ عليه المضارعُ ﴿نَقُصُّ﴾ منَ التّجدّد والاستمرار، والتَّعريض بالمعرضينَ عنِ الاتّعاظ بأخبارها[3]، والمعنى: قد قصصنا عليك ﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾، ونحن نقصُّ عليك أيضًا منها مفرَّقًا في السّور[4].

زيادةُ القَصصِ سبيلٌ للمواعظ، والتّخويف

**بيانُ وجهِ العطفِ بجملة ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾:**

أتى بالجملة الثّانية ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ معطوفةً مع أنّها مفسِّرةٌ للأولى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ﴾؛ لأنّ القصصَ لم تقعْ بكلِّ الأشياءِ بل ببعضها، فالعطفُ دالٌّ ومُؤذِنٌ بمعطوفٍ عليه لم يُذكَر[5] إيجازًا، واقتصادًا، واكتفاءً بالمهمِّ منَ الكلام المفيد للاعتبار، والعطفُ أيضًا لمناسبة ما في كلتا الجملتين من قصد التّنظيرِ بحال المُكذِّبين بالنّبيّ محمّد ﷺ[6].

في الكلام محذوفٌ منَ القصّة عُدِلَ عن ذكره

ولمّا كان المقامُ العجبَ منَ التّكذيبِ بعد ذلك البيانِ كان ربّما تخيّلَ متخيّلٌ أنّهم لم يُؤتوا بالبيان الشّافي؛ فشهدَ اللّهُ تعالى للرّسل ﷺ تصديقًا لمَن قالَ منهم: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ [الأعراف: 105]، بقوله: ﴿وَلَقَدْ﴾؛ أي: والحالُ أنّه قد ﴿جَآءَتْهُمْ﴾؛ أي: أهل القرى؛ لأنّهم المقصودون بالذّات[7].

**دلالةُ حرف الجرّ ﴿مِن﴾:**

و﴿مِن﴾ تبعيضيّة، فثمّةَ أنباء غير ما ذُكِرَ هنا، وطويَ ذكرُها لعدم الحاجةِ إليها في التّبليغ[8]، وذلك أنّ العاقلَ هو مَن يكفيه أدنى

في تبعيضيّة ﴿مِن﴾ بيانٌ للاقتصاد بذكر الأنباء

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/353.
(2) رضا، تفسير المنار: 9/29.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/30.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/30.
(5) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/239.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/30.
(7) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/76.
(8) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/135، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/30.

شيء؛ لذا هوّل الأمرَ بأنّ أخبارَها تفوتُ الحصرَ، وأنّ ما قصَّ منها يكفي المعتبرَ، فقال: ﴿مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ﴾؛ أي: أخبارِها العظيمةِ الهائلةِ المطابقةِ للواقع شيئًا بعد شيء، كما يَفعَلُ مَن يَتَتَبَّعُ الأثرَ[1].

### دلالةُ الضَّميرِ ومغزى تأنيثه:

رؤيـــةُ الـقـرى مدخلٌ في معرفة أخبارِ أهلِها

والمرادُ بالقرى وضمير أنبائها: أهلُها، كما دلّ عليه الضّمير في قوله: ﴿رُسُلُهُم﴾[2]، وأنَّثَ الضّميرَ؛ لأنّ لرؤية القرى أنفسِها مَدخَلًا في معرفة أخبارِ أهلِها[3].

### توجيهُ تعريف البيّنات وجمعها:

إظـهـارُ البيّنات مـصـاحـبٌ مع كلِّ مُرسَلٍ حجّةً وبرهانًا

جمع (البيّنات) وتعريفها باللّام العهديّة يُشيرُ إلى تكرّر البيّنات مع كلِّ رسولٍ[4]؛ ليكونَ حجّةً للرّسول على قومه، وبرهانًا على إلهيّة الرّسالة، وصدق التّكليف.

### دلالةُ الفاءِ الدّاخلة على (ما):

نفى إيمانَهم مع مـجـيء الـرّسـل إليهم مبلّغين، وقـبـل ذلـك وبعده

(الفاء) في قوله: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ﴾؛ لترتيب الإخبارِ بانتفاء إيمانِهم عنِ الإخبار بمجيء الرّسلِ إليهم بما من شأنه أن يحملَهم على الإيمان[5]، والضّميرُ في ﴿كَانُواْ﴾ وفي ﴿لِيُؤۡمِنُواْ﴾ عائدٌ على (أهل القرى)، وأنّ (الباء) في (بما) ليسَت سببيّةً؛ فالمعنى: أنّهم انتفَت عنهم قابليةُ الإيمانِ وقتَ مجيءِ الرّسلِ بالمعجزات بما كذّبوا به قبلَ مجيءِ الرّسلِ بالمعجزات، فحالُهم واحدٌ قبل ظهور المُعجزات وبعد ظهورها لم تجد عنهم شيئًا[6].

### نكتةُ إسناد نفي الإيمان إلى الضّمير:

القصدُ بالضّمير أهـــلُ الـقـرى باعتبار الأَغْلَبيّة

أسندَ نفيَ الإيمان إلى ضمير جميع أهلِ القرى باعتبار الغالب،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/76.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/30.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/76.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/30.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/30.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/354.

وهو استعمالٌ كثيرٌ، وسيخرجُ المؤمنون منهم بقوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾[1].

**بلاغةُ التّعبيرِ بجملة ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾:**

صفةُ الإيمان تنافي التّعنّتَ والإصرارَ على الكفر

صيغةُ ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ المجموعُ فيها: الفعلُ الماضي النّاقصُ الدّالُّ على تحقّق الفعل، والمضارعُ الدّالُّ على تجدّد فعل عدم الإيمانِ منهم، ولامُ الجحود تفيدُ المُبالَغَةَ في النَّفْي، وتَأْكيدَهُ، للدّلالة على أنّهم ما صلحوا للإيمان؛ لمنافاته لحالهم منَ التَّصميم على الكفر، والتَّصلُّبِ فيه، والطَّبعِ على قلوبهم[2]، ففي الإتيان بلام الجحودِ في (ليؤمنوا)؛ للمبالغة في نفي القابليَّةِ والوقوع، وهو أبلغُ من تسلّطِ النّفي على الفعل بغير لام[3]، والمعنى: فاستمرَّ عدمُ إيمانِهم، وتمكَّنَ منهم الكفرُ في حين كان الشّأنُ أن يقلعوا عنه[4].

**علّةُ إيثارِ (ما) الموصولة:**

بالغوا في الكذب وتمادَوا حتّى تعدَّوا حدودَه

(ما) في جملة: ﴿بِمَا كَذَّبُواْ﴾ موصولةٌ، والعائدُ منصوبٌ محذوفٌ؛ أي: بما كذّبوه، ويجوزُ أن تكونَ مصدريّةً[5]، ولاختيار (ما) المبهمة قصديّةٌ في سعة الكذب وعدم محدوديّته، يؤكّدُه حذفُ الضّمير، والتّقدير: (بما كذّبوه)؛ إذ جحدوا كلَّ شيءٍ، وكذّبوا بكلِّ شيء، فالحذفُ أدلُّ على الزَّجر من مُطلَقِ التَّكذيب وأوفقُ لمقصود السّورةِ[6].

فشأن (ما) الموصولة أن يُرادَ بها غيرُ العاقل، فلا يكون ما صَدَقَ (ما) هنا هو الرّسلَ، بل (ما جاءَت به الرّسلُ)، فلذلك كان فعلُ (كذّبوا) هنا مُقدَّرًا مُتعلَّقُهُ لفظُ (به)، كما هو الفرقُ بين كذّبَه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/31.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/135، والبيضاوي، أنوار التّنزيل: 3/26.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/354.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/30 - 31.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/354.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/76.

وكَذّبَ به، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ [الأعراف: 64]، وقال: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: 66][1].

### سرُّ التّعبيرِ بالجَارّ ﴿مِن قَبْلُ﴾:

من جحودهم أنّهم كذّبوا الرّسلَ قبل مجيئهم بالآيات، وفي أثناء مجيئهم

لمّا كان تكذيبُهم غيرَ مُستغرقٍ للزّمان الماضي؛ أدخلَ الجارّ، فقال: ﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: قبلَ مجيءِ الرّسلِ إليهم، أو بتكذيبِهم الواقعِ (منهم) للرّسل فيما أتَوا به عنِ اللّه من قبلِ الأخذِ بغتةً، أو من قبل مجيءِ الرّسلِ بالآيات، فإنّهم أوّلُ ما جاؤوهم فاجؤوهم بالتّكذيب، فجوزوا على تكذيب الحقِّ من غير نظرٍ في دليلٍ بالطّبع على قلوبهم، فأتَوهم بالمعجزات، فأصرّوا على ذلك التّكذيب، ووقَفوا لذلك الطّبعِ مع حظوظِهم، ومنعَتهم شماخَتُهم وشدّةُ شكائمِهم عنِ الإيمان لئلّا يُقالَ: إنّهم خافوا أوّلًا فيما وقعَ منهم منَ التّكذيب، فكانوا فيه على غيرِ بصيرةٍ، أو إنّهم خافوا ثانيًا ما قرَّعَتهم به الرّسُلُ منَ الوعيد، فدخلوا جُبنًا فيما يعلمون بُطلانَه، فكان تَزيينُ هذا لهم طبعًا على قلوبهم، فكأنّه قيل: إنّ هذا العجبَ هل يقعُ في مثل ذلك أحدٌ؟ فقيل: نَعَم، مثلَ ما طبعْنا على قلوبِهم حتّى صارَت مع الفهمِ لا تَنتَفعُ، فكأنّها لا تفهمُ، فكأنّها لا تسمعُ[2].

### توجيهُ المتشابهِ اللّفظيِّ في تعدية فعلِ التّكذيب:

الاستغناءُ بالمذكور، وتجنّبُ تكرار المذكور إحرازٌ للبلاغة

وحذفَ المتعلّقَ (به) مع ﴿كَذَّبُواْ﴾، وأظهرَه في سورة يونس ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ [يونس: 74]؛ لأنّه لمّا تقدّمَ في قوله تعالى: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ [الأعراف: 86]، وقوله: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ [الأعراف: 87]، ثمّ قال بعدُ: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ﴾ وقع الاكتفاءُ بما تقدّمَ من قوله: ﴿بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ [الأعراف: 87]، والّذي أُرسِلَ به هو

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/31.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/77.

الّذي طلبَ منهم الإيمانَ به، فحصل المقصودُ، فلو قيل أخيرًا: (به) لكان تكرارًا، فاقتضى الإيجازُ وإحرازُ البلاغةِ حَذْفَهُ؛ لِحُصولِهِ كَما حُذِفَ من قوله: ﴿وَطَآئِفَةٌ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾ [الأعراف: 87] مع أنّه مرادٌ، فحذفَ الموصولَ وصلتَه ورابطَها، إذِ التّقدير: وطائفة لم يؤمنوا بالّذي أُرسِلتَ به؛ لحصول ذلك ممّا تقدّم.

وأمّا قولُه في يونس: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ﴾ [يونس: 74] فإنّه لمّا تقدّمَ هنا ما لم يَتَقَدَّمْ هناك، فلم يكن بدٌّ منَ الإتيان بالضّمير ليحصلَ ما وقع منَ التّكذيب، ولترتبطَ الصّلةُ بالموصول[1]، فحذفَ المتعلِّقَ هنا إيجازًا؛ لأنّه قد سبق ذكرُ تكذيب أهل القرى، ابتداءً من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف: 94]، وقد سبق في ذلك قوله: ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف: 96]، ولهذا لم يُحذَفْ مُتعلَّقُ فعل ﴿كَذَّبُواْ﴾ في سورة يونس، والمعنى: ما أفادتهُمُ البيّناتُ أن يُؤمنوا بشيءٍ كان بدرَ منهُمُ التّكذيبُ به في ابتداء الدّعوة، فالمضافُ المحذوفُ الّذي دلَّ عليه بناءُ ﴿قَبۡلُۚ﴾ على الضّمِّ تقديرُهُ: من قبلِ مجيءِ البيّناتِ[2].

**التّعبيرُ بـ ﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ﴾ دون غيره:**

صرّحَ بلفظ الجلالةِ ﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ﴾، وأضمرَ في سورة يونس: ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [يونس: 74]؛ لكونه مناسبًا، ومرتبطًا بما افتُتحَت به الآيةُ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا﴾ [يونس: 74] فأخبر تعالى بإنعامه على عباده المهتدين بنعمة الرّسلِ إحسانًا وامتنانًا، ولتقومَ الحجّةُ على الخلق، وأضافَ الفعلَ إلى ضمير التّعظيم، فناسب ذلك ما بنى عليه وارتبطَ به من قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ﴾؛ مراعاةً

**إظهارُ الفاعل مراعاةٌ للتّناظر والتّقابل، وتنبيهٌ على خطورة الذّنب**

(1) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/212 - 213.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/31.

للتّناظر والتّقابل على خلاف آية الأعراف الخالية من هذا المَلمَح في مَطلَع الآية: في قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ فناسبَ الإظهارُ المُفتتحَ[1]؛ لما في إسناد الطّبع إلى الاسم العَلَم من صراحة التّنبيهِ على أنّه طبعٌ رهيبٌ لا يغادرُ للهدى منفذًا إلى قلوبهم كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: 11] دون أن يقولَ: هذا خَلقي، ولهذا اختيرَ له الفعلُ المضارعُ الدّالُّ على استمرارِ الختمِ وتجدُّدِهِ[2].

### دلالةُ فاصلةِ الآيةِ:

في الفاصلة تسليةٌ للنّبيّ محمّد ﷺ

وفي قوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ إلى آخر الآية، تسليةٌ للنّبيّ محمّد ﷺ؛ بأنّ ما لقيه من قومه هو سنّةُ الرّسلِ السّابقين، وأنّ ذلك ليس لتقصيرٍ منه، ولا لضعفِ آياته، ولكنّه للختم على قلوبِ كثيرٍ من قومه[3].

### بلاغةُ الالتفات منَ المتكلّم إلى الغائب:

فيه التّخويفُ والتّهديدُ، والتّشويقُ والإثارةُ، والتّوسيعُ والتّحريضُ

الالتفاتُ منَ المتكلّم ﴿نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ إلى الغائب ﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ﴾؛ للتّخويف، والتّهديد، والتّشديد على عِظَمِ فعل الطّبعِ؛ إذ لا هدايةَ تُرجى، ولا توبةَ تُؤمّل، وفيه التّشويق والإثارة: فإنّ المتكلِّمَ يشوقُ المستمعَ إلى سماع قصصِ المكذِّبين، ويثيرُ اهتمامَه بالأحداث الّتي حدثَت لهم، ويجعلُه يتساءل عن مصيرهم وسبب الطّبع على قلوبهم، وفيه التّوسيع والتّحريض: فإنّ المتكلِّمَ يوسِّعُ المعنى من قصص المكذِّبين المذكورين في سياق السّورةِ إلى قاعدةٍ عامّةٍ تشملُ كلَّ مَن كفر بالآيات والرّسول، ويحرِّضُ المستمعَ على التّفكّر في عظمة قدرةِ اللّه تعالى وشدّةِ عذابِه.

(1) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/212 - 213.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/32.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/32.

**توجيهُ متشابهِ ألفاظ: (الكافرين)، و(المعتدين)، و(المجرمين):**

تأكيدُ التّعريف بحال الجاحدين ممّن سبق، وشمولُهم جميعًا بالوصف

قال في الأعراف: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، وقال في يونس: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٧٤﴾ [يونس: 74]؛ لأنّ آيةَ الأعراف لمّا تقدَّمَها قصصٌ قد جرى فيها تفصيلُ ذكرِ مُكذِّبي الأمم أنبياءهم، وكيف ردّوا عليهم، وخاطبوهم به، فحصل من هذه الآيات مِنَ التّعريف بحال هؤلاء الأممِ في هذه القَصص بذكر غيرِهم ممَّن سلكَ مسلكَ مَن تقدّمَهم منَ المذكورين ما ناسبه وصفُهم بـ ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[1]، يؤكّدُه أنّ الألفَ واللّامَ فيه للجنس، المفيد للاستغراق؛ أي: جميعُ الكافرين ممّن ذُكِرَ وغيرهم[2]، وأمّا آيةُ يونس فلم يتقدّم قبلها تفصيلٌ، ولا إفصاحٌ بمخاطبة نبيٍّ ومواجهته بمثل ما في آيات الأعراف، ولا فيه بسطُ قصّةٍ منها، بل أوجزَ معنى ما انطوَت عليه تلك القصّة موردًا إيّاها على سبيل الإجمال، فناسبه وصفُهُم بـ ﴿ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٧٤﴾ [يونس: 74] ومن قبله في أوَّلِ السّورَةِ كَذلكَ بـ ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣﴾ [يونس: 13]، وإنّما لم يقع إفصاحٌ بكفرهم مع أنّهم كفّارٌ؛ فلكونه محصَّلًا من مجمل ذكرِهم إلّا أنّ جليلَ مناسبةِ النّظمِ مُقتضٍ ما ورد عليه كلُّ ما في السّورتين، وقصَدَ إلى التَّعبير عنِ المشار إليهم منَ المُهلَكينَ بـ(الإجرام) - وهو أكبرُ وقعًا من الاعتداء -؛ ليطابقَ وصفَهم بالظّلم؛ والمرادُ به تكذيبُهم الرّسلَ وكفرُهُم بما جاؤوهم به، فلم يكن ليطابقَ ذلك الوصفَ الاعتداءُ، ولم يوصفوا أيضًا بالكفر؛ إذ لم يقع به إفصاحٌ فيما تقدَّم، فكان وصفُهم بالإجرام أنسبَ[3].

(1) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/213.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/32.
(3) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/213.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### النّبأ والخبر:

النَّبأُ: خَبَرٌ ذو فائدةٍ عظيمةٍ، يَحصُل بهِ عِلمٌ أو غلبةُ ظنٍّ، وحقُّه أن يَتَعرَّى عنِ الكَذِب، كالمُتَواتِرِ وخَبَرِ اللّه وخَبرِ الرّسولِ [1]ﷺ، وينبغي أن يقيَّدَ بالخفيِّ؛ أي: الّذي كان خفيًّا.

فالفرقُ بين النّبأ والخبر أنّ النّبأ لا يكون إلّا للإخبار بما لا يعلمه المخبَر، في حين أنّ الخبرَ يجوزُ أن يكونَ بما يعلمه وبما لا يعلمه، فيجوز أن تقولَ: تُخْبرني عمّا عندي، ولا تقول: تنبئني عمّا عندي، وبذا فهو يُستعمَلُ في ما الأصل فيه مجهول لأحد الطّرفين[2]، ولكون أخبارِ القرى المذكورة في هذه السّورة الكريمة لا يعلمُها النّبيُّ ﷺ ولا قومُه، ناسبَ الإتيانُ بلفظ "الأنباء" دون لفظ الأخبار.

### المجيء، والإتيان:

المجيءُ أعمُّ منَ الإتيان؛ لأنّ الإتيانَ مجيءٌ بسهولة، والإتيانُ قد يُقال باعتبار القصدِ، وإن لم يكن منه الحصولُ، والمجيءُ يُقال اعتبارًا بالحصول، ويُقال: جاء في الأعيان والمعاني، ولما يكون مجيئُه بذاته وبأمره، ولمَن قصد مكانًا أو عملًا أو زمانًا[3]، فعبَّر في الآية الكريمة بـ (المجيء) باعتبار ما حملته رسلُ هؤلاء الأقوام لهم منَ الهدى، والحججِ البيِّناتِ الدّالّةِ على صدقهم، فناسب إطلاقَه، دون لفظ الإتيان.

(1) الزّبيديّ، تاج العروس: 1/443.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 41، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نبأ).
(3) الرّاغب، المفردات: (جاء).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»